(١٧)

المُهَيْمِنُ جل جلاله

هذه رسالة إلى.. كل من مل من الحياة، وسئم من العيش، وضاق ذرعًا بالأيام، وذاق الغصص.. نبشرك بأن هناك فتحًا مبينًا، ونصرًا قريبًا، وفرجًا بعد شدة، ويسرًا بعد عسر.

هناك أمل مشرق، ومستقبل حافل، ووعد صادق: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾[الروم: ٦]، ألم يقل مولاك وخالقك: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، ثم إذا دعوته بها؛ فما النتيجة؟ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[غافر:٦٠].

ونحن في هذا المقام نتقرب إلى الله عز وجل بمعرفة اسم من أسمائه الحسنى: (المهيمن جل وعلا):

ومعرفة الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته هو: أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصَّلته النفوس، وأدركته العقول.

اسم الله (المهيمن ﷻ) ورد في آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾[الحشر:٢٣].

وربُّنا المهيمن ﷻ هو: القائم على خلقه في كل أمورهم وشؤونهم؛ فهو المطلع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور؛ الذي أحاط بكل شيء علمًا، الشاهد على الخلق بأعمالهم، الرقيب عليهم فيما يصدر منهم من قول أو فعل، لا يغيب عنه من أفعالهم شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[يونس:٦١].

هذه حالات العبد وتقلباته في ليله ونهاره، وسره وجهره، وحضره وسفره؛ علمها علام الغيوب، وأحصاها على العبد: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾[طه:٧].

النجوى عنده جهر، والسر عنده علانية، والخافي لديه مكشوف.

❐ إنه المهيمن..

بات نفر من المنافقين يدبرون الدسائس، ويحيكون الخطط؛ فكشفهم علام الغيوب، وقال ﷻ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا

﴿١٠٨﴾[النساء:١٠٨].

جلس عمير بن وهب وصفوان بن أمية بعد بدر عند الكعبة ليلاً؛ يدبران اغتيال رسول الله ﷺ، فأخبر الله رسوله بكيدهم، وأطلعه على فعلهم.

مَلِيكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُوْ الوُجُوْهُ وَتَسْجَدُ

نعم؛ إنه المهيمن الحافظ ﷻ، والأمين والشاهد، والرقيب على خلقه بأعمالهم.

❐ اطمئن!

يا من ملأت عينيك بالدمع! كفكف دموعك، وأرح مقلتيك، واهدأ! فإن لك من خالق الوجود ولايةً، وعليك من لطفه رعايةً.

واطمئن -أيها العبد!- فقد فُرغ من القضاء، ووقع الاختيار، وحصل اللطف.

كم مرةً خفنا من الموت؛ فما متنا؟!

كم مرةً ضاقت بنا السبل، وتقطعت بنا الحبال، وأظلمت في وجوهنا الآفاق؛ فإذا هو الفتح والنصر، والخير والبشارة؟! ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾[الأنعام:٦٤].

كم مرةً أظلمت أمامنا الدنيا، وضاقت علينا السماء والأرض بما

رحبت؛ فإذا هو الخير العميم واليسر؟! ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[يونس:١٠٧].

فربُّنا المهيمن ﷻ، والعزة له، والغلبة له، والفرج منه.

ذكر ابن كثير عن وهب بن منبه أثرًا، قال: "يقول الله ﷻ في بعض كتبه: (وعزتي وجلالي! ما اعتصم بي عبد، فكادت له السماوات والأرض؛ إلا جعلت له من بينهن فرجًا ومخرجًا، وعزتي وجلالي! ما من عبد اعتصم بغيري؛ إلا أسخت الأرض من تحت قدميه)".

جَلَالُكَ يَا مُهَيْمِنُ لاَ يَبِيْدُ ... وَمُلْكُكَ دَائِمٌ أَبَدًا جَدِيدُ
وَحُكْمُكَ نَافِذٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ ... وَلَيْسَ يَكُوْنُ إِلاَّ مَا تُرِيدُ
قَصَدْتُ إِلَى المُلُوكِ فَكُلُّ بَابٍ ... عَلَيْهِ حَاجِبٌ فَظٌّ شَدِيدُ
وَبَابُكَ مَعْدِنٌ لِلْجُودِ يَا مَنْ ... إِلَيْهِ يَقْصِدُ العَبْدُ الطَّرِيدُ

❐ حبل النجاة..

وصف ربنا ﷻ كتابه -وهو: القرآن- بأنه: مهيمن على الكتب السابقة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة:٤٨].

فالقرآن الكريم حاكم على الكتب قبله؛ فقد جاء بأحسن ما فيها،

ونسخ منها ما نسخه، وقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون؛ فأظهر تحريفهم، وأظهر الحق الذي تضمنته الكتب السابقة.

وما آمن مسلم بهذا إلا أثمر تعظيم كتاب الله ﷻ في صدره محبةً وفرحًا، وحمدًا لله وشكرًا على الهداية إليه؛ وهي التي يرجوها كل إنسان، ويطلبها المؤمن في كل ركعة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾[الفاتحة: ٦].

اللهم يا مهيمن! اهدنا فيمن هديت، وتولنا فيمن توليت، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.